الكاظمي .. ولغة قومه

لازال العراق ولاداً بالشعراء الذين يتركون بصمات فريدة ومميزة على ساحة الأدب وفي عصرنا الحاضر من أواخرهم الأستاذ الأديب الكبير أبو علي جابر الكاظمي. وبعيداً عن العواطف والمحبة القلبية الكبيرة التي أكنها له في قلبي سوف أنقل نقداً وعرضاً لما تناها إلى سمعي من نقد أهل الاختصاص لهذه القامة الأدبية الشامخة في خدمة العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهم وعلى جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله التي ملخص مفادها أن الدواوين التي أنتجها الكاظمي لم يأتي بجديد فيها مقارنةً بما ينتجه الشعر الحداثوي أو مدرسة الفن الحديثة.

في مقام طرح بعض الموضحات بحكم المتابعة الطويلة لهذا الأديب في لقاءاته المتعددة التي شاهدتها كلها بل أكرر مشاهدة بعضها للإستفادة من هذه الشخصية التي أصبحت رمز ثقافي من رموز الكاظمية المقدسة نقول:-

أولاً: المدارس البلاغية ليست تقتصر على المدرسة الحداثوية بل هناك مدرستان أخيرتان وهما مدرسة اللفظ ومدرسة المعنى وفقاً لما ذكره العلامة الفضلي رضوان الله عليه في كتابه القيم ملخص البلاغة, فلعل الأديب الكاظمي لا يميل المدرسة الحداثوية أصلاً.

ثانياً: من المسلم به إذا أردت أن تنتقد نتاج شاعر لابد أن تعرف نظرته أو رؤيته عن الشعر الذي ينتجه ومن يستهدف بشعره. وأظن أنه لا نحتاج إلى شواهد لإثبات أن المستهدف هو المجتمع الحسني الذي يحضر للعزاء الحسيني بجميع طبقاتهم ومستوياتهم الثقافية.

ثالثاً: وأما عن اللغة المنثورة في دواوينه صرح الكاظمي أنها اللغة البيضاء وهي اللغة الدارجة/العامية الأقرب للفصحى التي تناغم فيها مع صديقه وعرابه الأول السيد علي الموسوي رحمه الله.

رابعاً: من معايير الشعر هو التأثير العاطفي حيث عد الشعر الذي يخلو منها أو كانت ضعيفه أنها ليست بشعر بحسب أحد أدبائنا في المدينة المنورة. والكل يشهد أن الكاظمي ترك تأثيراً عاطفياً عميقاً بقصائده التي أوصلتها الحناجر الذهبية للرواديد أعزهم المولى بخدمة المولى أبي عبد الله عليه السلام. بل إنني لمست طعماً جديداً في شعره الذي يلقيه على المنصات لا أبالغ إن قلت أنه يرقى

فوق بعض القصائد المؤدية بحناجر الرواديد حفظهم ا. وأما عن الإبداع والبلاغة وما إلى ذلك فإنه اعتمد على ما لا يكون غامضاً على المتلقي المنبري حيث لم تكن الغاية من نتاجه الغزير الذي وصل إلى 30 مجلداً هو خطاب النخبة. وإذا أردنا أن نختبر شاعرية جابر الكاظمي نراه ولد شاعراً لا لأنه ولد في بيئة شعرية فقد يولد الإنسان في بيئة مثلها ولكن لا يكون شاعراً ولكن مع جابر الأمر مختلف فهو شاعر مطبوع كما يقال وخير دليل هو أول قصيدة كتبها التي مطلعها "عيني اْعْلى دربك شابحه" وهي من الشعر الشعبي الغزلي العتبي فهي تحكي عن صاحبها الذي بحق ولد شاعراً ونترك الفرصة للقارئ الكريم للبحث عنها. هذا لا يعني أن شعر الأديب جابر الكاظمي لا قيمة أدبية له بل بالعكس البراعة في أن تكتب بغزارة تخاطب فيها جميع شرائح المجتمع محافظاً على معايير الشعر (القصد + الوزن + القافية + العاطفة + الخيال + الفكرة + البلاغة .....) ملامساً العواطف بالصفاء الشعري والفكري والعقائدي على مدى 25 عاماً بل إن الجيل الذي تربى على سماع قصائده كان من أوائل الواعين بالإنحدار الذي طرأ على بعض القصائد الحسينية الذي أشار صرح موافقاً له بعض الأدباء المختصون.

خامساً: بحسب ما صرح في احدى لقاءاته أنه يتعمد الكتابة باللغة التي يعرفها المجتمع ولكن بصورة إبداعية منطلقاً من رواية ذكرها, لذلك نجد أن من سمات شعره أنه سهل ممتنع والفراغ الذي تركه يعزز ذلك.

نعم ... يبقى السؤال العريض..

متى سيكتب الأستاذ جابر الكاظمي للنخب الأدبية؟

أما حان الوقت الأن لهذا المستوى من الشعر الجابري أن يراه المتعطشون بعد هذه المسيرة الناصعة التي ألبسته وسام "عميد القصيدة الحسينية الدارجة" بتعبير الشيخ الكرباسي في موسوعته "دائرة المعارف الحسينية"؟

أما حان الوقت أن نرى شعراً يسامق مدرسة الفن الحديث/الحداثوي؟

نثق تماماً في مهارة وبراعة الكاظمي .. فهو من أجدر من يستحق حمل لواء الشعر الحسيني ولذا يتطلع جمهوره إلى رؤيته يخاطب النخب بالشعر الحديث ولعلنا نراه في سماء ذلك كما قال:

أنا العقاب سماء الله لي وطنٌ

سيان أمري في حلي وأسفاري

و قوله:

مثل طبع النسر طبعي * أطير بهية الجنحين

فمن سلك طريق الألف بيت.. لا تصعب عليه طرق المدارس الأخرى وقصيدته "في جبهة المسيح" خير دليل.

دمت متألقاً أبا علي ....